وزارة التعليم العالي البحث العلمي

جامعة القادسية /كلية الآداب

قسم علم الاجتماع

الاصلاح الاجتماعي بين علمنة الدين وتديين العلمانية

بحث في اشكالية العلاقة واتجاهها

الاستاذ المساعد

الدكتور صلاح كاظم جابر

قسم علم الاجتماع في كلية الآداب

جامعة القادسية

ملخص الدراسة باللغة العربية

ان الدراسة لواقع الاصلاح الاجتماعي بين علمنة الدين وتديين العلمانية. هو تساؤل عن عوامل الفشل المتراكمة لعمليات الإصلاح الاجتماعي باتجاهاتها الدينية والعلمانية التوفيقية (التي نشأت بسبب الايمان بان الدين هو الفاعل الاجتماعي الاساسي في اصلاح المجتمعات المتدينة) اذ تميزت باتجاهيها الاساسيين علمنة الدين او تديين العلمانية. من خلال التعرف على الادوار التي لعبتها العوامل والمتغيرات الاجتماعية المقترحة على شكل تساؤلات للبحث.

ان فهم العلاقة بين العلمانية والدين المعاصر بكل ما ينطوي عليه من اشكاليات في مجتمع متعدد الاديان والمذاهب. متديين تدينا شعبيا يتم من خلال فهم موقف العلمانية من كل من التعددية الاجتماعية والمذهبية الدينية. بوصفها (العلمانية) مشروع اصلاح اجتماعي وليس مشروعية للإصلاح. اذ ان المشروعية الدينية للإصلاح لا تتناقض مع علمنة المجتمع التي تجعل من الاصلاح بالاطار العلمي للمفهوم ممكنا. من خلال اصلاح العقلية الاجتماعية بكل تصنيفاتها. من خلال فهم حاجة المجتمع الى الاصلاح الجذري المتكامل او التدريجي القائم على التوجيه المقصود لحتمية التغير الاجتماعي في المجتمعات الانسانية ومنها المجتمعات المتدينة. اذا ما تم تفعيل دور السلطة (اية سلطة) في ممارسة هذا التغيير والتخطيط له بوصفها القيادة العاملة على ادارة الحياة الاجتماعية. فلم ترسخ العلمانية الموضوعية في المجتمعات الاوربية في عصري النهضة والتنوير الا بعد ان تبنت قياداتها مشاريع الاصلاح الاجتماعي وتبنى مفكريها ذوي الخلفية الدينية مشروعات الاصلاح الديني.

ان قابلية الدين للعلمنة لا تعوقها الا ممانعة المذهب الذي يعد نفسه وحده الدين الحق (الفرقة الناجية). هو الذي خلق الحاجز بين واقع الحال والاصلاح الاجتماعي الذي لا يمكن تخطيه في المجتمعات الشرقية المتدينة. فالتعددية والتطيف الديني هي سمة كل المجتمعات الانسانية اليوم. هي الموضوع الديني الاكثر اهمية في عمليات الاصلاح الاجتماعي. لان ذلك سيعيد ترتيب اولويات الاصلاح بالدفع باتجاه اصلاح العقل المذهبي ويحد من تجدد الانقسامات الدينية. يتم ذلك من خلال التوجيه الفكري للمخول اجتماعيا (القائد الديني) وتوجيه المؤسسة الدينية نحو الاصلاح. الذي ينبغي ان يقوم على فلسفة ويتضمن الاصلاح الديني. لان الدين اليوم هو احد المؤسسات التي تعد احد اهم اركان البناء الاجتماعي في المجتمع العراقي وغيره من المجتمعات المتدينة. الامر الذي يعني الحفاظ على القيم الدينية والمكانة الاجتماعية لرجل الدين فيكون احد الفاعلين في عمليات الاصلاح الاجتماعي.

ا.م.د. صلاح كاظم جابر

Abstract

Social reform between the religion secular and the religiously of the secularism

A study to problematic and attitude

Study to the reality of Social reform between the religion secular and the religiously of the secularism in the Islamic and Arabic societies Refers to the study in the factors of the failure in the social reform operations before two centuries ago. They feel in the serious need to social reform in all aspects of social live. The thought which appear when they believed the religion is the main factor to achieve the social reform. They know the Social reform related to the secularism. So they try to make a relation between religion secular and the religiously of the secularism. So as to make social reform is possible in the religious societies. They try to avoid the positives interests of the religion men. Who stand against the social reform operations by used the popular forms of the religiosity .

The mythological ways of popular religiosity refused secularism to keep the specialized identity of the societies. Religious Institution tries to cooperate with the political one to prevent social reform to keep their interests. The State has religious identity in its main law. The religious men try to keep their followers obey them in fight the secularism. The newel of the religion couldn't make social reform it was stopped in the half way of it. The men who suggested the newel forget social reform when they achieve some interests .

The intelligence elite have no authority to achieve the social reform because the popular concessions didn't know what they talking about why. They afraid about lose their religion if they left the mythological ways of religiosity. There was no religious concessions and knowledge they depend on the religious men in their social religious attitudes. So we have serious need to understand the secularism and it relation with our individual religious life, the role of secularism in the social reform and it relation with the religion, and interests of the both Institution in the operation of social reform late. So we need humanity studies to make the people know what did achieve when they knew the role secularism in the development of their societies .

They should know the religious newel may create the conflicts or blood struggles between the casts when the social reforms stand on its orders. With the other casts whose represents the other identity. The political authority should have the secular methods in the treatment of their citizens. The Arabic spring revolutions help us to use the young's wishes to achieve the change in the reality of social political and religious life. The young must learn something about the secularism in the schools especially in the high schools. Just Then the social will be get the social accepts in the social life of the society .

Assistant POR. S . K . Jabber

Specialized sociology of religion

المقدمة

شعر المسلمون بشكل عام والعرب منهم بشكل خاص بحاجتهم الى الاصلاح الاجتماعي الجذري عندما حصل لهم الاتصال والتواصل مع الغرب المستعمر الذي يعد كافرا. عندما تخلصوا به (بمدافع نابليون) من المسلم المستبد الذي حمل مسؤولية التخلف (فيما بعد) الذي حل بالمجتمعات الاسلامية. او بالدولة الاسلامية منذ سقوط بغداد عاصمة الخلافة على يد هولاكو 656هـ. الا انهم تجاهلوا الحاجة الاشد والاكثر الحاحا وهي الوصول الى خطاب اصلاحي يضمن فاعلية المشروعات الاصلاحية الدينية والاجتماعية. فقد تولد في اذهانهم من التساؤل الذي ارقهم وما زال منذ اكثر من قرنين من الزمان. لماذا تقدم الغرب الكافر وتأخر الشرق المسلم المؤمن بدين انشاء حضارة كانت العامل الاساسي في تقدم هذا الكافر؟. ولد هذا التساؤل الكثير من اسئلة النهضة. كان اهمها كيف السبيل الى اللحاق بركب الحضارة؟. فكانت الاجابة اشكالية معقدة هي الإصلاح الذي يشمل جميع جوانب الحياة الاجتماعية. كل المؤسسات التي يتألف منها البناء الاجتماعي (السياسية والدينية والتربوية والاقتصادية والاسرية). الذي هو محور اشكالية البحث الحالي.

الاصلاح لابد ان يكون تحت مظلة العلمانية، التي تستوعب الاختلاف والتعدد الاجتماعي على اساس من الانتماء الوطني مهما كانت السمات الانثروبولوجية لهذا الاختلاف، ونبذ الخلاف والصراع الهدام الاصلاح يقوم على تبني فلسفة تحدد الخطوط العامة لسير عملية الاصلاح فضلا عن تحديدها للاهداف والغايات الاجتماعية لهذه العملية. بات خطاب العلمانية يمثل خدشا للضمير الديني لأفراد هذه المجتمعات لا لشيء الا لأنها ما زالت لا تعي المفهوم ولا اهميته في اصلاح الحياة الاجتماعية ولا طبيعة العلاقة بين العلمانية والدين كنص تأسيسي (لكم دينكم ولي دين).

انشغل المفكرون المسلمون والعرب باقتراح مشروعات لهذا الاصلاح تعددت اتجاهاتها الا ان أي منها لم يثمر الا صراعا فكريا ومع التوفيقيين غير محسوم اجتماعيا لحد الان. ليتحول الى صراع دموي يلتهم الاخضر واليابس مع السلفيين في هذه المجتمعات. يقترح المفكرون ويبنون مشروعاتهم التي ظلت حبرا على ورق لان الحكومات لم تتبنى أي من مشاريعهم رغم انها حاولت في العديد من البلدان العربية استيراد ايديولوجيات جاهزة لتحقيق الطفرات في التقدم والتطور (حرق المراحل). لكن اي منها لم يفلح ايضا. الا انهم اصروا على عدم تبني أي مشروع عربي او ايديولوجيا عربية او اسلامية فـ(مطربة الحي لا تطرب) بل ان الهوة الثقافية والحضارية والتاريخية بيننا وبين الحضارة مستمرة في الاتساع يوما بعد اخر.

الباحث

المبحث الاول: اولا – مشكلة البحث

ان الاقرار باهمية العلمانية للاصلاح الاجتماعي جعل من الاتجاه التوفيقي يتضمن توجهين اساسيين هما علمنة الدين وتديين العلمانية لتلائم المجتمعات المتدينة سعيا للحفاظ على الهوية الدينية والاجتماعية للمجتمعات العربية الاسلامية ومنها المجتمع العراقي ما دفع الباحث الى التساؤلات الاتية:-

1- هل يجب ان يكون للاصلاح الاجتماعي مرجعية دينية ليتحقق في مجتمعاتنا
2- هل يجب ان تبرر العلمانية دينيا لتحقيق الاصلاح الاجتماعي لتجاوز عقبة التخلف
3- هل يمكن ان يتضمن الدين مشروعات الاصلاح الاجتماعي والديني لتحقيق الاصلاح الاجتماعي
4- هل يمكن التوفيق بين المذاهب (الفرقة الناجية) لتتقبل التعددية المذهبية والدينية وبالتالي العلمانية

ثانيا – اهمية البحث : تقسم اهمية البحث الى قسمين اساسيين هما:

1- الاهمية الذاتية وتكمن في رغبة الباحث التعرف على سبل تفعيل التوجهات الاجتماعية الفردية والعامة نحو الاصلاح الاجتماعي لكي يخرج من اطر التنظير الى واقع الحال. بالاضافة الى التعرف على دور المرجعية الاجتماعية لتحقيق التغيير الاجتماعي من خلال الاصلاح فضلا عن التعرف على امكانية تقبل العلمانية في المجتمعات المتدينة

2- الاهمية الموضوعية تكمن في التعرف على عوامل فشل مشروعات الاصلاح بكل اشكالها في مجتمعاتنا الاسلامية العربية ومنها المجتمع العراقي بالاضافة الى التعرف على حقيقة ما نسب الى الاتجاه التوفيقي بانه تلفيقي فضلا عن التعرف على السبيل الذي يمكن من خلاله جعل الاصلاح الديني سبيلا للاصلاح الاجتماعي

ثالثا – اهداف البحث :يكمن حصر اهداف البحث بالنقاط الاتية:

1- بيان دور العقلية الاجتماعية في تقبل الاصلاح الاجتماعي من خلال ادراك اهمية الدين العلماني
2- بيان دور المؤسسة الدينية في تقبل علمنة المجتمع الذي يعني علمنة الدولة او الدين ذاته
3- بيان اهمية العلمانية لتجاوز المشكلات الدينية والمذهبية التي تعد عقبة الاستقرار والتقدم
4- بيان اهمية تبني فلسفة علمانية لتحقيق الاصلاح الاجتماعي لكي لا يكون التوفيق تلفيقا
5- بيان العلاقة العلمية الموضوعية بين الدين كنص وممارسة وبين العلمانية كمنهج للحياة الاجتماعية
6- بيان اوجه التقارب والتنافر بين العلمانية والمذهبية الدينية واثر الاخيرة في امكانية تحقيق الاصلاح

رابعا – تحديد المفاهيم اولا– الاصلاح الاجتماعي (social reform)

الاصلاح في اللغة العربية هو الضد من الافساد. وكذا فهو اعادة التنظيم والترتيب التي تقوم على الشعور بالمسؤولية الاجتماعية عند اغلب ان لم نقل جميع افراد المجتمع. لكل ما تنطوي عليه الحياة الاجتماعية من مفاصل ومواقف تتحدد بمردودها الاجتماعي على الفرد والاخرين في حاضرهم ومستقبلهم. وكذا فهو العملية التي يتم بواسطتها اعادة القدرة على الفعل الاجتماعي السوي لكل الوظائف والادوار التي تؤديها الانساق الاجتماعية بعد ان اصبحت تؤدى بطريقة غير سليمة او مقبولة اجتماعيا كونها لا تعمل في سبيل تحقيق الاهداف والغايات الاجتماعية العامة.[1]

اما الاصلاح في اللغة الانكليزية فهو (reform) الذي يشير بدوره الى معان متعددة منها (انه عملية التغيير التي تجري على النموذج الاجتماعي للوصول الى تحسينه) او هو (عملية تعديل النظم الاجتماعية الفاسدة دون تغيير البناء) او هو (عملية تعديل الاداء الوظيفي السيء للنسق).[2]

الاصلاح عملية تتم بموافقة السلطة وبمباركتها ودعمها سواء مثلت هذه السلطة المؤسسة السياسية او غيرها من المؤسسات الاجتماعية الاخرى المؤلفة للبناء الاجتماعي عندما تجعل من الاصلاح احد اهم اهدافها وغاياتها الاجتماعية. كما ان الاصلاح حركة اجتماعية او فكرية تقوم على الوعي باهمية الحاجة الاجتماعية من خلال تقدير الحاجات الفردية والاجتماعية له في حياة المجتمعات. يقوم على خطاب يعمل على تحويل الافكار والتوجهات النظرية الى واقع اجتماعي من خلال تمثلها على شكل فعل اجتماعي في التفاعلات التي تغشى الحياة الاجتماعية في المجتمعات.[3]

ان التوافق في الاهداف والغايات بين المؤسسات الاجتماعية المؤلفة للبناء الاجتماعي وخصوصا المؤسستين الدينية والسياسية (لانهما يمتلكان السلطة) وتضمنها الاصلاح الاجتماعي هو الذي يجعل من هذه العملية ممكنة في المجتمعات. وهو امر صعب في مجتمعاتنا الشرقية الاسلامية العربية ومجتمعنا العراقي بوجه خاص. الامر الذي لا يعني ان الاصلاح لا يقوم الا اذا توافقت بل يمكن ان يقوم على ممارسة احدى هذه المؤسسات سلطتها الممثلة بالقهر الاجتماعي لتفرضه على بقية المؤسسات الاجتماعية الاخرى. بل تلعب الفاعلية الاجتماعية لكل مؤسسة من المؤسسات المؤلفة للبناء الاجتماعي دورها في تحقيق هذه العملية بمقدار استقلالها اذا ما كانت ضمن اهدافها الاجتماعية.[4]

يختلف الاصلاح الذي يقترب من الثورة عن التجديد. لان الاخير يشير الى كل فكرة او عمل يخرج عن المألوف بالمصادفة دون تخطيط فيكون عفويا تقبله الغالبية وقد يؤدي التجديد الى الصراع على خلاف

الاصلاح الذي يمثل مشروع تبديل جزئي او تام في نظام يشعر ويعي الافراد بفساده وضرورة اصلاحه. الاصلاح هو كل مشروع تتبناه المؤسسة السياسية او الدولة او اي من المؤسسات الاجتماعية بغية الخروج من مازق التخلف والواقع المتردي الذي يعيشه المجتمع العراقي.[5]

ثانيا- العلمانية (secularism)

ظهر مفهوم العلمانية لأول مرة في اللغات الاوربية في عام 1648 في معاهدة صلح فستفاليا التي انهت الحروب الدينية الطائفية في اوربا. اذ اعتبر هذا العصر عصر بداية الدولة القومية دولة القانون والمؤسسات التي عملت على تأميم ممتلكات الكنيسة لصالح الشعب. عرفها جون لوك على انها (امكانية اصلاح احوال الانسان بالطرق العقلانية العلمية التجريبية دون المساس بالإيمان قبولا او رفضا).[6]

لا يختلف مضمون مفهوم العلمانية في اللغة العربية عن مضمون المفهوم الغربي كثيرا. فترجمت عند البعض الى الدنيوية الى تشير الى كل ما يخص عالمنا الارضي من شؤون. اذ يرون انها مشتقة من لفظ العالم الا ان البعض الاخر تطرف في ترجمتها اذ يرجع الاصل اللغوي لهذه الكلمة الى العلم. حيث تشير الى عملية اعادة تنظيم الحياة الاجتماعية في المجتمعات، القائمة على نتائج الابحاث العلمية الموضوعية بغض النظر عن موقف الدين منها. خضعت العلمانية الى الكثير من التصنيفات في كتابات المفكرين العرب والاسلاميين منهم تحديدا فكان هنالك العلمانية الشاملة (العلمانية كايديولوجيا) والعلمانية الجزئية والعلمانية المادية والعلمانية الاخلاقية وكل منهم يستشهد بتغير معنى المفهوم في اللغات الاوربية نتيجة تطوره وارتباطه المباشر بالاصلاح الاجتماعي والحرية الفردية والجماعية والاجتماعية.[7]

ربط الاصلاحيين الاسلاميين العرب بين العلمانية والدين ربطا مشروطا باخلاقيات المجتمع العربي الاسلامي مدفوعين بهدف الحفاظ على الهوية الدينية والخصوصية المجتمعية لمجتمعاتنا الشرقية التي تعد مجتمعات متدينة. وقالوا بانه لا يوجد تعارض بين العلمانية الاخلاقية والدين لان لا رهبنة ولا كنيسة في الاسلام. بل ذهب البعض منهم الى ان الدين ذاته يجب ان يتعلمن للتخلص من الطائفية الدينية التي ما فتئت تتجدد انقساما وتتأجج صراعا دمويا. مستندين الى مجموعة من الاسس الدينية منها ان المسؤولية الدينية مسؤولية فردية وان الاسلام اقر بل حث على الاصلاح الفردي والاجتماعي لأحوال الناس باستخدام الطرق العلمية الموضوعية (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) شريطة عدم التعارض بينها وبين الاخلاقيات الدينية للمسلم.[8]

اما تديين العلمانية فهو اضفاء الصفة الدينية على مبادئ واسس العلمانية التي توسم بانها اخلاقية لا تتعارض مع مبدا الايمان الديني. من اجل اتخاذها طريقا للاصلاح الاجتماعي المرهون حدوثه بالعلمانية وبفلسفة اجتماعية تحدد له اهدافه وغاياته فضلا عن تحديدها للمبادئ التي يقوم عليها الاصلاح كحل للإشكالية القائمة بين الحاجة الى الاصلاح وبين دور الدين في الحفاظ على الهوية الاجتماعية فضلا عن فاعليته التي يمكن ان تكون عائقا امام كل مشروع اصلاحي اذا ما استند الى العلمانية الغربية الشاملة.

ثالثا- الدين (religion)

الدين في اللغة العربية من فعل متعد بنفسه او بالباء او اللام (دان، دان به، دان له) وكلا منهما يشير الى الخضوع الى سلطة ملزمة طوعا او كرها. وهو اسم لكل ما يعتقد به. او يتعبد به اله. او هو الملك والتصرف. وهو ايضا علاقة بين طرفين يعظم احدهما الاخر ويخضع له. وتتعدد معاني المفهوم في اللغة العربية لتصل الى حد التناقض.[9]

اما في اللغة الانكليزية فالدين فهو (religion) الذي يشير الى معان متعددة ايضا. فالدين نظام اجتماعي يقوم على علاقة الانسان بقوى فوق الطبيعة يؤمن بها ويعبدها عن طريق وسطاء بينها وبينه. الدين كذلك نسق سلوكي قانوني واخلاقي. او هو العلاقة بين العابد والمعبود التي تقوم على نسق ثابت. كما ان الدين يشير الى تلك الممارسة الاستثنائية لطقوس المقدس. اما فلسفيا هو الفاعلية التي تربط الفرد بما يفعل (تجعله مسؤولا عن افعاله).[10]

الدين في علم الاجتماع الديني هو نسق من الافكار والمعتقدات التي تنظم علاقة بني الانسان بعضهم مع البعض الاخر وعلاقتهم بما وراء الطبيعة ينطوي على مجموعة من الطقوس والشعائر والعبادات التي تعد اهم اسس عملية التنظيم هذه.[11]

يشتق من مفهوم الدين في علم الاجتماع الديني مجموعة من المفاهيم التي تعد من المفاهيم الاساسية فيه مثل التدين الذي يشير الى مجموعة من الممارسات الاجتماعية للفروض والطقوس والشعائر التي تعد اسس الدين او تلك التي تنسب اليه. اما الدينية فهي الصفة التي تلحق بالظواهر والسلوكيات والمشكلات الاجتماعية للإشارة على انها من تأثير الدين في المجتمع وليس من تأثير المجتمع في الدين لان علم الاجتماع الديني هو العلم الذي يدرس العلاقة التفاعلية بين الدين كمؤسسة وبقية المؤسسات الاجتماعية الاخرى المؤلفة للبناء الاجتماعي.[12]

اما الحتمية الدينية فهي الايمان بان الدين هو اساس المعايير الاجتماعية وهو اقوى قوة تسيطر على سلوك الافراد في المجتمع وفعالياتهم. من خلال النسق الديني الذي يشير الى بناء المكانات والادوار الاجتماعية التي تظهر على شكل مجوعة الفعاليات او المعتقدات التي تعبر بها الجماعة الاجتماعية عن الالتزام الديني لها.[13]

اما علمنة الدين فهي الدراسة العقلية العلمية الموضوعية للدين التي تعمل على اعادة قراءة الدين ليتكيف مع واقع الحال الاجتماعي. لان الدين نص تأسيسي ثابت يصلح لكل زمان ومكان من وجهة نظر اتباعه. لذا يتطلب الامر ان يقوم المخول الاجتماعي (رجل الدين الاعلى الذي يحتل راس المؤسسة الدينية) بإعادة القراءة والتفسير لإصدار تعاليم دينية جديدة تتلائم مع هذا الواقع تأخذ هذه التعاليم قدسية الدين بل انها تصبح هي الدين بعد ان تحجبه بحاجز اجتماعي يشير الى تسامي الدين عن الفهم الفردي العام.

المبحث الثاني (تديين العلمانية)

1- اشكالية العلاقة بين العلمانية والدين

يشير فصل الدين عن السياسة الذي تقوم به العلمانية كأحد واهم غاياتها في عملية التطبيق الاجتماعي لها الى فصل المجال الخاص عن المجال العام في حياة الفرد. فلا يفرض الفرد أيا كان موقعه الديني والاجتماعي مصالحه على حساب المصالح الاجتماعية العامة لكافة افراد المجتمع والمصالح الاجتماعية للمجتمع بالتناغم مع المصالح الاجتماعية للمجتمعات الاخرى. اذ اننا نعيش اليوم في قرية كونية ارتبطت فيها المصالح الاجتماعية للمجتمعات رغما عنها.[14]

تقوم الحياة الاجتماعية في المجتمع الذي يتسم بالعلمانية على فلسفة محددة المبادئ والقيم والاخلاقيات تستمد منها القوانين والاعراف الاجتماعية العامة التي تحكم علاقات الافراد في المجتمع بعضهم مع البعض الاخر. تضمن هذه الفلسفة الحرية الفردية بكل اشكالها. فالفرد حر في اعتقاداته لا يفرض عليه تبني اتجاه ديني او سياسي او اجتماعي بل تعرض عليه الاتجاهات والتوجهات الاجتماعية القائمة على الاسس الموضوعية العلمية التي يتحقق من خلالها الصالح العام للفرد والمجتمع على حد سواء يكون له الحرية التامة في اختيارها او العزوف عنها. وهذا ما تفتقر اليه المجتمعات الشرقية عمومها والمجتمعات الاسلامية التي تعيش في تناقضات لا يمكن التوفيق بينها على اساس ما يسمى بالفلسفة الاسلامية.[15]

ينظر المفكر المغربي عبد السلام بنعبد العالي الى العلمانية بانها ليست دينا او مذهبا وايضا فهي لا تنوب عن الدين او المذهب او تأخذ مكان اي منهما في ذات الفرد كما انها لا ترفض الدين ولا تنفيه بل

تحصره ضمن ميدان الخاص ولا تمانع من ممارسة الافراد للطقوس والشعائر مجتمعين او منفردين او تحقيق النماذج الاجتماعية الخاصة به. بل هي رفع الغطاء الديني عن الممارسات السياسية التي تهدف الى تحقيق المصالح الفردية والجماعية الفئوية على حساب المصالح العامة لأفراد المجتمع باسم الدين او التوجه المذهبي أيا كان.[16]

العلمانية هي الشرط الذي تقوم عليه تجربة العيش المشترك في المجتمعات الانسانية المعاصرة الذي يتحول فيه العنف المبرر دينيا الذي يستباح به دم الانسان وكرامته ومصالحه الى حوار وتعايش وسلام واقتسام على اساس من الحرية الانسانية والمساواة في الحقوق والواجبات والفرص. العلمانية هي مبدا الحوار لما يتضمنه الاجتماع السياسي الذي يسم العيش المشترك من خلال مواطنة سكنية. فهي تمثل ذلك الاتفاق العام المبدئي حول امكانية تعدد الآراء وجواز الاختلاف دون الحاجة الى التوفيق بين هذه الاختلافات التي تنحصر بدورها في المجال الخاص.[17]

اذا كان هنالك قاسما مشتركا بين العلمانية والدين يمثل الارضية المشتركة لتساكنهما في ذات الفرد والمجتمع فهو العلمانية ذاتها لأنها تمثل عمليات الدفاع المشترك عن الجامع بين المختلفين من افراد المجتمع الواحد الذي لا تستباح فيه المحرمات بل يلجا المجتمع الى طريقة لتقنينها وتقعيدها على اساس مجموعة من القوانين الملزمة للأفراد المؤمنين بهذا الدين او ذاك او اتباع هذا المذهب او ذاك باحترام عقائد وطقوس وممارسات الاخرين الدينية كما يطلبون احترام عقائدهم وممارساتهم الدينية وحقهم في الحفاظ عليها لان العلمانية تفرق بين الاهمية الاجتماعية لاحترام معتقدات الاخرين وبين حق الافراد في حرية الاعتقاد تلك الحرية التي تمنح الفرد حق الاعتقاد بأية طريقة او مذهب او دين يوصله الى الخلاص الروحي ويحقق له الاشباع الذاتي والاجتماعي بتوفيره للإجابات التي تؤرق الانسان في حياته الارضية.[18]

ليست العلمانية كما يصورها البعض من رجال الدين المذهبيين الذين يعملون جاهدين على ربط الاتباع بهم عن طريق عملية تجهيل تصل الى حد تغيير الاسس والمبادئ الدينية ذاتها حفاظا على مصالحهم ومواقعهم الاجتماعية فيحلو لهم ان يصوروها به بانها التحلل الاخلاقي الذي يفقد الفرد اصالته وشرفه ويفقد المرأة عفتها والرجل سلطته على اهل بيته ونشر المحرمات في المجتمع بل هي عملية تبصير وتوعية بحقائق الامور الموضوعية التي يمكن من خلالها فقط الحفاظ على الكثير من الحقوق الاجتماعية للأفراد ذكورا واناثا ومنع التجاوزات على القانون الذي يضمن للكل حقوقهم ويضمن ايضا التزام الكل بأداء واجباتهم.[19]

2- دينية الاصلاح الاجتماعي

يختص الاصلاح الاجتماعي بواقع الحياة الاجتماعية العامة دون الحياة والدينية للفرد او الجماعات الاجتماعية التي يتألف منها المجتمع لان مثل هذه المهمة منوطة في العلمانية برجال الدين اولئك الذين تخصصوا في قراءة النص الديني واعادة تفسيره ليتلائم مع العصور والازمان ويستوعب المستجدات الاجتماعية في حياة الافراد والجماعات. والتغير الاجتماعي المستمر الذي يطرا في حياة الفرد والجماعة الاجتماعية التي ينتمي اليها. قائم على الاختيارات الفردية الحرة في اتباع هذا الاصلاح او البقاء على التقليد دون ان يحق لأي فرد كان مهما كانت درجة قرابته بإجبار الاخرين على سلوك سبيل او منهج بعينه.[20]

لا يحتاج الاصلاح الاجتماعي الى فتوى او تعاليم دينية او طائفية مذهبية مهما كان شكل الخلفية الدينية للغالبية العامة من ابناء المجتمع كما انه لا يحتاج الى التبريرات بل هو حاجة اجتماعية يشعر بها الافراد نتيجة ضغط الاوضاع والظروف الاجتماعية التي شوهتها عقبات الفساد الذي يمكن ان يصيب الادوار والوظائف الاجتماعية التي يمكن ان تقوم بها الانساق الاجتماعية في حياة المجتمع سواء تضمن هذا النسق او ذاك افرادا من دين او توجه اجتماعي بعينه او لا كما ان مثل هذه الفتاوى او التعاليم ستعمل على تجيير الاصلاح الاجتماعي لصالها دون غيرها من افراد المجتمع الذين سيكون الاستفادة منه مشروطة بتغيير توجهاتهم قسرا وان كانت تحوز على قدسية من وجهة نظرهم.[21]

اما الاصلاح الديني فالعلمانية غير معنية به. لان الدين نص ثابت مقدس لا يحتمل الفساد ولكنه يحتمل التجديد اي تحديث الفاعلية الاجتماعية للنصوص والتعاليم الدينية في ذات الفرد او الجماعة الاجتماعية من خلال ايجاد تفسيرات جديدة لكل ما يمكن ان يعتبر دينيا او ضمن الاهتمامات الدينية للفرد تحثه على الخصوصية والتفرد بإتمام مهامه الدينية على اعتبار ان المسؤولية الدينية هي مسؤولية فردية تحولت مع التوظيف السياسي المذهبي والطائفي فقط الى مسؤولية اجتماعية وفي الدين العديد من النصوص الدينية التي تشير الى هذا المعنى **(يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت)*** و**(من كفر فان الله غني عن العالمين)**** و**(اعلموا ان الله غني حميد)***** وغيرها الكثير مما لا يمكن احصائه في هذا المجال.[22]

ان الادراك الواعي بالحاجة الى الاصلاح الاجتماعي في المجتمع العراقي والمجتمعات العربية والاسلامية يعوقه مجموعة من التفسيرات الدينية الخاطئة التي يؤمن بها افراد الاديان خصوصا اولئك المغلوب على امرهم من ان ما يحدث من الفساد في المجتمع والاضرار التي تلحق بالأفراد والجماعات هي ناتج غضب من الالهة تريد به احلال القيامة ونهاية العالم بما يجعل الفرد والجماعة يركنون الى العدالة الاخروية مستسلمين ينتظرون من يخلصهم رغم ان الاديان السماوية جميعها تحث الانسان على البدء بتغيير

واقعه ورفض الظلم ولا تسامح الالهة من يظلمون انفسهم او اولئك الذين يسكتون عما يرونه من الظلم فقوله تعالى **(ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغير ما بأنفسهم)*** خير دليل على ما ذهبنا اليه اعلاه.

ان الفساد يسبب انعدام فاعلية الانساق الاجتماعية في تحقيق المصالح واشباع الحاجات للأفراد او الجماعات لذا فان الاصلاح الاجتماعي وقف على العلمانية التي يمكن ان تتحقق في المجتمعات. لأن التغييرات التي تجري على النموذج الاجتماعي الذي يعيشه المجتمع بهدف الوصول الى تحسينه وتجاوز الوظائف السلبية فيه التي يمكن ان تنتج من قيام الانساق الاجتماعية بها. بما فيها النسق الديني يعود بالدرجة الاساس الى ان النسق الديني يقوم على تقوية الاصرة الاجتماعية بين افرد الجماعات الاجتماعية الى حد غلقها وخلق نمط من العزلة الاجتماعية. لهذه الجماعات كما انه يعمل على وضع مجموعة المعايير الاجتماعية التي تميز بين المؤمنين بهذا الدين والاخرين من افراد المجتمع المعاصر الذي يتميز بالتعددية الدينية والمذهبية الطائفية في كل المجتمعات الموجودة على ظهر البسيطة فضلا عن علاقة هذه المجتمعات مع المجتمعات الاخرى التي ترتبط معها بمصالح سياسية واقتصادية تكتسب من الضرورة عدم تجاهلها والتي تؤمن غالبيتها باديان اخرى.[23]

فاذا عرفنا ان النسق الطائفي المذهبي يفتقر الى القيم الدينية الانسانية الجامعة بين افردا المجتمع الواحد المختلفين في المذهب او الدين او حتى المختلفين في التوجه الديني داخل المذهب الواحد او تلك القيم التي تدعو الى التسامح والتعايش بينهم نحو مجموعة القيم والمعايير الاجتماعية التي تفرق بين افراد الدين الواحد على الاساس الطائفي الذي يقوم على اعتبار كل طائفة او توجه ديني بانه الممثل الوحيد للدين الحق الذي يستطيع وحده ان يحقق الخلاص الاخروي وهو الواجب الاتباع لان الحساب قد بات قريبا جدا.[24]

عرفنا ان الاديان والطوائف والمذاهب الدينية لا تحتمل الاصلاح وانما تلجا الى التجديد الذي يتم عن طريق ظهور افراد من رجال الدين يحاولون الحصول على موطئ قدم لمصالحهم بين السابقين الذين يسيطرون على الساحة الاجتماعية حتى وان كان ذلك من خلال الصراع بالاعتماد على اكتساب طرق الفهم والقدرة الفردية على موائمة النص الديني الثابت مع واقع الحياة الاجتماعية المتغير بصورة حتمية وباستمرار لينال بذلك القدسية التي يحتلها الدين في ذات الفرد ليخلق نمطا من الافتراق والتمزق الاجتماعي الديني بسبب قبول توجه دون اخر لرجال الدين الذين يعدون المخولين الاجتماعيين لقراءة النص الديني.

3- اصلاح العقلية الاجتماعية

تتطلب عملية تقبل العلمانية وتمثلها من اجل تحقيق الاصلاح الاجتماعي القيام ببعض الاصلاحات الفكرية مقدما واهم هذه الانماط من الاصلاحات هي الاصلاح الفكري الذي يجب ان تحشد له كل الجهود الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية من خلال اعادة تشكيل بنية الوعي الاجتماعي داخل المجتمع العراقي

والعربي والاسلامي. من خلال نشر المعرفة العلمية حول حقيقة ما تكون من صورة شوهاء تجاه العلمانية. عمل على تركيزها رجال الدين الذين يتسمون بالسمة الطائفية والذين يعتمدون بشكل مباشر على جهل الاتباع والإتباع الاعمى لهم في تحقيق مجموعة من المكاسب السياسية والاقتصادية الانية والفردية لرجل الدين على تشويه الوعي الاجتماعي العام حول مفهوم العلمانية وعلاقته بالدين.[25]

ان المكانة الاجتماعية التي يتمتع بها رجل الدين والقابلية على قيادة وتوجيه الوعي الاجتماعي في المجتمع العراقي قادت الى تشويه الممارسة العلمانية الاهم في الاصلاح الاجتماعي فالديموقراطية الشوهاء التي مورست في المجتمع العراقي. التي قامت على انتخاب القيادات السياسية على اساس الانتماء المذهبي هي التي ادت الى المحاصصة السياسية العقيمة. التي جعلت من مشكلات الشعب العراقي تتفاقم يوما بعد اخر دون ان يكون هنالك بصيص امل لحلها او تجاوزها رغم مرور اكثر من 10 سنوات على انهيار النظام الدكتاتوري في المجتمع العراقي.[26]

لقد خلقت التوجهات الاجتماعية الطائفية حاجزا من الخوف المرضي من الاخر الاجتماعي والديني والطائفي سواء من المنتمين الى الدين الواحد او حتى من المنتمين الى الطائفة الدينية او المذهب الواحد ناهيك عن الفوبيا من التعامل مع الاخر المجتمعي والاقتداء به للحاق بركب الحضارة التي عدت نمطا من التحلل الاخلاقي والديني التي لا يهيب بالمجتمعات الدينية وخصوصا الاسلامية الاقتداء بها حتى وان كان ذلك على حساب انسانية الانسان العراقي وحقوقه الاجتماعية والسياسية وضمان امن المجتمع واستقراره على الرغم من ان المجتمع العراقي استطاع في تاريخه السياسي تجاوز هذه الحواجز وقد حدثت مثل هذه التجارب في تاريخ السياسي للمجتمع العراقي عندما حشدت الجهود لمقاومة المستعمر.[27]

ان تأثير اللاوعي الاجتماعي الجمعي في العقلية العراقية يعد من الاشكاليات التي تقف حائلا بين واقع الحال الاجتماعي وتوجيه عمليات التغيير الاجتماعي في المجتمع العراقي اذ يتميز بانه تحول من مستوى الاختلاف بالراي الى مستوى الخلاف بالفعل عملت الدكتاتوريات السابقة بمباركة من المؤسسة الدينية او بعض رجالاتها على تفعيله وترسيخه بين فئات المجتمع العراقي الذي يتميز بالتعددية الاجتماعية والعقائدية العجيبة حتى جعلت منه ثقافة اجتماعية تتسم بانها ثقافة الغلبة والقضاء على الاخر التي تتميز بقدرتها على تزويد الافراد بأسلوب معرفي متصلب يحدد الوعي والادراك الفردي والجمعي على اساس توزيع ظواهر وسلوكيات الحياة الاجتماعية بين نقيضين فمن لم يكن معي فهو ضدي يحاول اجتثاثي من الجذور لذا يتوجب اجتثاثه على هذا الاساس افضى ذلك الى عدم الاتفاق مع الاخر في مواقف الصح والخطأ بل ان التعاليم الدينية ذاتها وخصوصا التعاليم المذهبية اخذت هذا الطابع ايضا فالخلاف هو الاساس الذي تبنى

عليه المسائل الدينة التي لا يستطيع رجل الدين الوصول الى خلفياتها التاريخية التي تمكنه من اصدار الاحكام الدينية فتعمقت هوة الخلاف فطبع الثقافة السياسية العراقية بعد 2003 بشكل ملحوظ هو احد اهم نتائج مثل هذا اللاوعي الجمعي.[28]

لا نغالي اذا ما قلنا بان الاصلاح الاجتماعي لجميع جوانب الحياة الاجتماعية في المجتمع العراقي قد تتوقف فاعليته في تحقيق الاهداف الاجتماعية والانسانية التي يسعى اليها المصلحين والمفكرين اذا لم تسند الى ارضية صلبة متمثلة بنمط من الوعي والادراك الذي يحدد اتجاه وصورة العقل الاجتماعي والفردي نحو تقبل وتمثل الاصلاح الاجتماعي في المجتمع وهذا الامر غير محصور بالمجتمع العراقي الذي عانى الويلات والنكبات جراء تعاقب السلطات الدكتاتورية على حكمه منذ نشوء الدولة العراقية الحديثة والى يوم النماس هذا بل يتعداه الى الكثير من المجتمعات التي فشلت فيها عمليات الاصلاح الاجتماعي نتيجة عن تمثل وتقبل العقلية الاجتماعية له

المبحث الثالث (علمنة الدين)

1- قابلية الدين وممانعة المذهب (اصلاح العقل الديني)

نشطت الحركة الفكرية الداعية الى اسلمة العلوم بشكل منقطع النظير في محاولاتها ايجاد التقارب بين الاسلام كدين (نص تأسيسي) وبين العلوم التي اكتشفها الانسان وخصوصا العلوم الانسانية كالفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرها الكثير من العلوم السلوكية بل ان عمليات التقريب هذه وصلت الى حد ربط العلمانية بالدين وربط الدين بالعلمانية من خلال ايجاد تفسيرات للمبادئ الدينية الاسلامية تتلائم او تتواصل مع اهداف ومبادئ العلوم ولم تقتصر هذه الحركة على الدين الاسلامي بل تعدتها الى غيرها من الاديان فكانت الاديان تامر بالتسامح والتعايش والخضوع للقانون والسلم الاهليين والاحسان الى الاخرين من ابناء الديانات الاخرى وما الى ذلك من المبررات التي تجعل من الدين صالحا لكل زمان ومكان ويستطيع مواكبة التطور والتقدم العلمي والتكنولوجي الا ان اي منها لم يدخل واقع الحياة الاجتماعية على شكل تعاليم دينية توجه التدين الشعبي في الحياة الاجتماعية.[29]

اذ يتفق فرقاء المذاهب عند الجانب التنظيري مع سعيهم الدؤوب الى تعميق الخلاف على الجانب الفعلي من الحياة الاجتماعية. والى ذلك استندت المطالبات بإنشاء الدولة الدينية في المجتمعات التي تتميز بغالبية من دين معين بل ان هؤلاء سعوا جاهدين الى تضمين دساتير الدول الحديثة التي قامت في المجتمعات العربية الاسلامية بحراب الاخر العلماني (الدولة العراقية الحديثة) ان الاسلام هو دين الدولة او ان الدولة

اسلامية فكان الاسلام السياسي ذا التوجه الطائفي هو المنافح عن احقية الدين في بناء دولة متطورة متقدمة من خلال مجموعة المشاريع السلفية المتطرفة والمعتدلة التي الصقت بها صفة الاصلاح الاجتماعي للمجتمعات التي نشأت فيها او تلك المجتمعات التي ترتبط معها بصفة دينية من خلال الارتباط المذهبي مع مواطنيها.[30]

ان سيادة التوجهات السياسية المذهبية ادى الى تصدير الاسلام السياسي اسلام البترودولار. قام على اساس من تسخير موارد الدولة وقوتها في واجبها الديني وهو الدعوة الاسلامية وافقت المؤسسة السياسية على اداء هذا الواجب سعيا الى تصدير مشكلاتها الى الخارج. بل ان الحال وصل بالبعض الى وضع هدف السعي اعادة توحيد الاسلام من خلال مجموعة من المنظمات الشكلية او الصورية التي افتقدت الى كل فاعلية اجتماعية في الحياة الاجتماعية للمجتمعات العربية والاسلامية مثل منظمة التقريب بين المذاهب الاسلامية التي انحصرت فاعليتها في مجموعة التنظيرات التي يخرج بها مجموعة من رجال الدين يفتقرون بدورهم الى فاعليتهم وتأثيرهم الاجتماعيين في حياة مجتمعاتهم بل ان غالبية هؤلاء لم يكونوا يمثلون المذاهب التي يعملون على التقريب بينها وبين المذاهب الاخرى.[31]

ومن الجدير بالذكر انهم لم يستطيعوا لحد الان التخلص من عقبة حديث افتراق الامة الذي تتمسك به كل المذاهب والتوجهات الفرقيَة الاسلامية رغم اعترافها بضعفه وامكانية كونه من الاحاديث الموضوعة لان الالتزام به من قبل المذاهب كان وما زال مسالة بقاء واستمرار المذهب ذاته او الدين في حياة اتباعهم فتحول التدين في المجتمعات العربية والاسلامية نتيجة الافتقار الى الوعي الديني غير المؤدلج الى نمطين هما التدين النخبوي الذي يقول به برجال الدين من المخولين اجتماعيا في تصريحاتهم الصحفية وتدين شعبي اسطوري الذي يظهر اثره في واقع الحياة الاجتماعية.[32]

2- التجديد في الطائفة الدينية ورهاب الاصلاح العلماني

عادة ما تقوم الصراعات او الحروب في حياة المجتمعات والجماعات الانسانية على اساس نشوء مراكز قوى جديدة تحاول اعادة توزيع المصالح لتحصل على جزء من الكعكة يتناسب مع الطموحات او ما تمتلكه من قوة فعلية يظهر ذلك واضحا في حالة الصراعات الاقتصادية او السياسية بين الدول.

يلعب التعليم الديني المتخصص دورا مهما في خلق الحالمين بالاصلاح الديني او التجديد في الطريقة او المذهب الديني في المجتمعات الاسلامية بشكل عام. من خلال المدارس الدينية التي تنشئها الدولة عندما تتبنى مذهبا بعينه لخدمة اغراضها السياسية (ضمان المرجعية الدينية لولاء الافراد في المجتمع). او المدارس

الخاصة التي يرأسها رجال دين يحضون بمكانة اجتماعية وتاريخ يؤهلهم لعملية التعليم والتدريب الديني للمرشدين والواعظين. الذين يتم اعدادهم من اجل العمل على نشر طريقتهم الدينية بين افراد المجتمع عن طريق ضمان التواصل المباشر معهم وبالتالي حشد الاتباع من الافراد على حساب الطرق الاخرى. يكون ذلك من خلال تبنيهم اقتصاديا واجتماعيا شريطة بقائهم في الظل وعلى ولائهم المستمر ومتحدثين باسمهم عند الالتحام المباشر مع جماهير المتدينين الذين يعدون من اتباع هؤلاء.[33]

ان الصراعات الدينية التي تنشا بين رجال الدين والتي تنشا على اساسها الطرق والفرق وحتى المذاهب داخل الدين الواحد تنقسم الى قسمين اساسين. الاول الذي يقسم بدوره الى قسمين هما اولا اخذ الاذن بتعليم وتدريب مجموعة من المتدينين المساعدين ليصبحوا دعاة الى الطريق الجديد بعد ان تتسع القاعدة الاجتماعية الامر الذي يمنحه ثقة اكبر وبالتالي مكانة دينية ارفع. خصوصا في حالة الانتقال الى مجتمعات محلية بعيدة او مجتمعات اخرى خارج سيطرة المؤسس. بما يضمن له ولاء المتعلمين الجدد وحصوله على موارد اقتصادية تؤهله لنشر تعاليمه بين الناس. ويستطيع رجل الدين المؤسس تلافي النتائج السلبية التي يمكن ان تترتب على ذلك من خلال اعلان عدم الاهلية الدينية والانحراف (التفسيق) فتذوي هذه الطريقة الجديدة شيئا فشيئا. اما الثاني فهو ظهور قوى فكرية دينية تستطيع السيطرة على مجموعة من المتدينين من الاتباع ليعلن انشقاقه عن سلفه حالما تحين الفرصة لذلك (غالبا وفاة مؤسس المدرسة او زعيمها).[34]

اما الثاني فهو بروز خليفة للمتوفى على حساب الاخرين من بين اتباعه فيعمل احدهم على ادعاء التجديد بعد ان يبين للاتباع بانه جدير بالمكانة الدينية التي يحاول الحصول عليها نظرا لما يمتلكه من المعرفة الدينية التي تؤهله لذلك فنجده يحاول نشر هذه المعرفة بكل وسيلة بدءا بالمطالبة بالمناظرة والمحاجة مع رجال الدين السابقين مهما ارتقت مكاناتهم المعرفية الدينية اولئك الذين يعرف مسبقا بانهم سيتجاهلونه في هذه الحالة يدعي ان سبب التجاهل هو خوفهم من حقائقه او توجيه الانتقادات لطريقتهم في ادارة الحياة الدينية واتهامهم بالتقصير في تحقيق الاشباع المعرفي لاتباعهم لتنتهي بالصراع على مستوى القوة عندما يتوافر له من الاتباع من يكون مستعدا للموت من اجل نشر تعاليمه على انها جزء من الجهاد الاسلامي في نشر الدعوة.[34]

ان الانحراف عن الطريق المرسوم لطلبة هذه المدارس الدينية او اهدافها ينشا بسبب احتكار المصالح الدينية من قبل فئة تمثل جماعة اجتماعية مغلقة تعلن نفسها بانها تمثل النخبة الدينية للدين او المذهب. الا ان الانقطاع للتعليم الديني يمنح الطلبة فرصة الاطلاع على اسرار وخفايا هذه المدارس وطريقة توجيهها للدين لخدمة المصالح الاجتماعية للأفراد القائمين عليها والذين يحتكرون التخويل الاجتماعي الديني يدفع

هؤلاء الطلبة الى المطالبة بالحصول على جزء من المكاسب الدينية سواء تمثلت هذه المكاسب بالمنافع الاقتصادية والاجتماعية او النفوذ السياسي والاجتماعي وبالتالي يحدث الانشقاق على اساس من تفسير الفرد لواقع الحال الذي يدفع به الى تأويل النص الديني (الاجتهاد) لخدمة اهدافه واغراضه التي يعدها في هذه الحالة اهداف وغايات الدين او المذهب.[35]

اما بالنسبة الى اولئك الذين تمكنوا من العلوم الدينية والانسانية خصوصا اللغوية منها يعلنون مشروعاتهم الاصلاحية بعد ان يتمكنوا من استخدام وسائل الاتصال والتواصل الاجتماعي الحديثة لنشر ما يمكن ان تقع به المؤسسة الدينية من مغالطات واهداف اصدارها للتعاليم التي لا تمت الى الدين بصله من خلال معالجتهم للنص الديني التأسيسي على اساس تاريخي والذين يشكلون رهاب العلمانية في المجتمعات المتدينة فيواجهون من قبل المؤسسة الدينية بالتكفير.[36]

قد تتكاتف المؤسسات الدينية المتصارعة من اجل محاربة مثل هذه المشاريع الاصلاحية متناسين خلافاتهم الدينية والمذهبية من اجل الوقوف صفا واحد ضد العلمانية التي يدعو اليها هذا المصلح او ذاك هذا من جانب اما من جانب اخر فان تفصيل الطريق الذي يمكن ان يصل من خلاله اي فرد من افرد المجتمع للأحكام الدينية هو اشد ما يخيف رجال الدين في المؤسسة الدينية اذ ان ذلك سيفقدهم تخويلهم الاجتماعي الذي جاء نتيجة جهل المجتمع بأسس تحصيل المعرفة الدينية ومبررات احتكارها من قبل رجال الدين التي اخذت طابع النص الديني الذي يكتسب القدسية في نظر الافراد الاتباع فتقسيمات مثل (المظنون به على غير اهله) والاحاديث التي تنقل عن الرسول الكريم بضرورة عدم اطلاع العوام على اصول اكتساب المعرفة الدينية واستنباط الاحكام وحصر هذه المهمة بالنخبة الدينية كلها اسس اعتمدتها المؤسسة الدينية لعدم نشر الوعي الحقيقي والمعرفة الدينية بين افراد المجتمع.[37]

3- الاصلاح الاجتماعي والتجديد الديني

ارتبط الاصلاح الاجتماعي ارتباطا مباشرا في المجتمعات الاسلامية بشكل عام والمجتمعات العربية منها بشكل خاص كمركز الديانة الاسلامية بالتجديد الديني، وغالبا ما يتخذ صوت المناداة بالتجديد الديني من الحديث النبوي الشريف **(إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا)*** الاساس للمطالبة بالاصلاح الاجتماعي على اعتبار ان سبب الفساد والافساد في الحياة الاجتماعية يعود الى فساد الالتزام الديني في مجتمعاتنا. والى قصور النص عن مسايرة مستجدات الاوضاع الاجتماعية بسبب السمة التقليدية لرجال الدين المحافظين على التراث الديني الذين يعدون كل تجديد تجديف وانحراف عن جادة الصواب الذي يسببه فساد القائمين على مراقبة هذا الالتزام ممن يحوزن تسمية رجل الدين.[38]

لقد ركزت عمليات التجديد الديني على اصلاح موقفهم من المكتسبات الحضارية من المجتمعات الاخرى خصوصا تلك المتعلقة بالجانب الانساني والحقوقي كحقوق المرأة والطفل والرعاية الاجتماعية والصور الشعبية للتدين التي تتخذ طابعها الاسطوري في اغلب الاحيان ساعية الى اعادة الدين الى الطريق القويم طريق الاسلام الصحيح مما يجعلها تلقى مقاومة من الجانب الاجتماعي لأنها تمس معتقدات القاعدة الاجتماعية الواسعة فيخلق بذلك نمطا من الحاجز بينها وبين تبنيها من قبل افراد المجتمع العاديين ويجعلها بحاجة ماسة الى تأييد يقوم على الراي الديني للمخول اجتماعيا الامر الذي يعد العامل الاساسي لعدم فاعليتها الاجتماعية. لان غالبية المشروعات التجديدية خصوصا تلك التي تظهر من داخل المؤسسة الدينية يقوم بها رجال دين افتقدوا الى سمة التخويل الاجتماعي او الزعامة الدينية التي تؤهلهم للتأثير في الراي الديني العام.[39]

كذلك ترتبط فاعلية الاصلاح والتجديد الديني بالسلطة الرسمية الممثلة بالمؤسسة السياسية والسلطة الدينية غير الرسمية التي تمارس في المؤسسة الدينية من قبل المخول الاجتماعي اذ سيخلق في هذه الحالة صراع بين المحافظين الذين استقرت مصالحهم الاجتماعية على وجه محدد يحاولون الحفاظ عليه مهما كلف الامر. ولو تطلب ذلك الاستعانة بالسلطة السياسية (الغريم الديني) التي تتميز بلا دينيتها المضمرة وتبنيها المنهج الديني المعلن لان المصلحة في هذه الحالة ومشتركة فيعملون سويا على ايقاف مشروعات الاصلاح والتجديد الديني عند حدود معينة ترضي اطراف العلاقة دون ان تصل الى حد الاصلاح الاجتماعي بإعادة توزيع المصالح والسكوت عنه هذا من جانب.[40]

اما من جانب اخر فان غالبية رجال الدين او المثقفين الذين يخرجون بمشروعات الاصلاح والتجديد يفتقرون الى هذه السلطة (دينية او دعم المؤسسة السياسية) والمصالح التي تدعمهم اجتماعيا في مواصلة مشاريعهم التجديدية او الاصلاحية الامر الذي يبقي هذه المشاريع حبرا على ورق لأمد غير محدود. فضلا عن انها تعتمد فقط على عدد ومستوى محدود من الوعي الديني لبعض الافراد الساعين الى الاصلاح ممن يؤمنون باهميته للحياة الدينية او الاجتماعية وهم قلة قليلة لاحول لها ولا قوة سوى اقلامها التي لن تصل في يوم من الايام الى القاعدة الاجتماعية الشعبية.[41]

ان صورة المقاومة التي تبديها المؤسسة الدينية المدعومة وتكاتف الفرقاء الدينين ضد المشروعات الاصلاحية والتجديدية ومن المؤسسة السياسية التي تمتلك من الامكانات المادية (موارد الدولة) والاجتماعية المتمثلة بانعدام الوعي الديني والاجتماعي العام باهمية الاصلاح والتجديد وصور التدين الشعبية ذات الطابع الاسطوري الذي يدعمها فتلجأ الى اشد الوسائل الدينية قسوة للمقاومة كالتكفير والاتهام بالعمالة الى الاجنبي

وتنفيذ اهدافهم في القضاء على الهوية الدينية للمجتمعات العربية والاسلامية والسعي الى القضاء على اصول الدين ونشر الفساد الاخلاقي في المجتمع وغيرها مما يغري التوجه الاجتماعي العام لغالبية المتدينين الذين لا يعون من الدين سوى مجموعة الممارسات الاسطورية لقشور الدين بمقاومة مثل هذه المشاريع حتى وان كان ذلك على حساب حقوقهم ومصالحهم وبذلك تضاف قوة جديدة الى القوى التي تستخدمها المؤسستين السياسية والدينية في المجتمعات لمقاومة التجديد والاصلاح.[42]

واذا علمنا بان المشروعات التجديدية التي حققت شيئا من النجاح في الحياة الاجتماعية في المجتمعات الاسلامية العربية ومنها المجتمع العراقي توقفت عند هذه النجاحات لتبقى غاياتها واهدافها شعارات مؤجلة تورم منها الحصول على مكاسب دينية وسياسية وتسجيل الريادة في هذا المجال الى اجل غير مسمى فتترسخ بذلك نظرة اجتماعية بين المفكرين والمثقفين وكل من يسعى الى الاصلاح او التجديد الديني بان مثل هذه المجتمعات لا يمكن اصلاحها الا اذا تم ذلك عن طريق الدين او بإصلاحه وكلا الامرين بعيد المنال فضلا عن تركز حاجة الاصلاح في يد رجل الدين المخول اجتماعيا بتغيير التوجهات الاجتماعية العامة والدينية بشكل خاص نحو الاصلاح وهو امر مستبعد تماما ان لم يكن مستحيلا ايضا.[43]

هو ما لم يحصل في تاريخ المجتمعات الاسلامية جميعها لان فكرة التخلي عن الموقع الاجتماعي بالنسبة الى المخول الديني اجتماعيا امر غير منوط بتوجهاته الفكرية الفردية بل هو منوط بشبكة من المصالح الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي اوصلته الى ما هو عليه والا كان مصيره مصير المجددين والمصلحين الذين بقوا علامات مضيئة ولكن في كتب التاريخ فقط الذين لم يكن لهم اي دور اجتماعي يذكر في اصلاح المجتمعات او تجديد الدين والتدين كما ان المؤسسة الدينية تستخدم السكوت عن مثل هذه المشروعات في احسن الاحوال من باب تجاهل اهميتها في الحياة الاجتماعية وتأثيرها على المتدينين لان الاعتراف بها عن طريق المساجلة والمجادلة قد يؤدي الى انحراف البعض منهم نحوها.

اولئك الذين تم ربط الالتزام الديني عندهم بما يصدر من تعاليم وافعال دينية يأمر بها المخول الاجتماعي فقط بل ان الدين ذاته ارتبط فقط بالمخول اجتماعيا فمن لم يتخذ منهجا مذهبيا بعينه يتبع فيه احد رجال الدين البارزين مات ميتة جاهلية هكذا تنص التعاليم الدينية المذهبية وهو الاساس الاجتماعي الذي تستند اليه اغلب الجماعات المتطرفة في عمليات التكفير. اذ ان النظرة الاجتماعية السائدة بين المتدينين بالتدين الشعبي بان كل حركة اصلاح علمانية لا تهدف الا للقضاء على الاسلام والالتزام الديني في المجتمعات الذي يدعم التزامها الاخلاقي.[44]

اما اذا عرفنا بان مشروع التجديد الديني سلفية الطابع وهي مشروعات غالبا ما تظهر بصورة متزامنة مع مشروعات التجديد ذات الطابع العقلاني الذي يأمل احداث التغير الاجتماعي في البنية والوظيفة على حد سواء بالنسبة الى المؤسستين الدينية والسياسية. تلك المشروعات التي تلتزم مذهبا دينيا دون اخر محاولة فرضه على انه الممثل الحقيقي والوحيد للدين الاسلامي. كرد فعل لخروج المشروعات التجديدية العقلانية عما يعتبر من اصول التدين الشعبي التي تدعمها المؤسسة السياسية كورقة ضغط على المؤسسة الدينية الموجودة عندما تشعر ان قوة الاخيرة بدأت بالتزايد بشكل ينذر بالخطر على المواقع السياسية. فهنا الطامة الكبرى لان الدعوة الى التزام منهج السلف هي دعوة صورية فقط هدفها استمرار تخلف المجتمعات التعمية والتجهيل الديني.

الاستنتاجات

1- ان الاصلاح الاجتماعي في المجتمعات الشرقية ومنها المجتمعات الاسلامية العربية والمجتمع العراقي لا يقوم الا بتبني فلسفة اجتماعية تعين على تقبل العلمانية.
2- ان الاصلاح الاجتماعي يجب ان يعتمد نمطا من الخطاب الاجتماعي العام لتقريب العلمانية واسس الاصلاح من وعي افراد المجتمع خصوصا اولئك الدين يتميزون بالتدين الشعبي.
3- ان الاصلاح الاجتماعي لا يحتاج الى تبرير ديني بقدر حاجته الى وعي اجتماعي باهميته واثره في الحياة الاجتماعية.
4- ارغام المؤسستين السياسية والدينية اللتين غالبا ما ترتبط مصالحهما في المجتمعات على تبني العلمانية والاصلاح الاجتماعي في اطار فلسفة اجتماعية واضحة المعالم
5- يجب بيان اوجه القصور في التدين الشعبي واثرها في الحياة الاجتماعية سواء على المصالح الفردية للافراد او على المصالح الاجتماعية العامة
6- ان التجديد الديني لا يمكن ان يؤدي الى الاصلاح الاجتماعي بل الى طرق جديدة في حشد الاتباع المتدينين

التوصيات

1- الافادة من التوجهات الاجتماعية التي خلقت الوعي باهمية التغيير من خلال الربيع العربي في حياة المجتمعات الاسلامية والعربية والمجتمع العراقي منها بشكل خاص
2- الافادة من التعليم والتثقيف المدرسي في نشر الوعي المفاهيمي بالعلمانية والاصلاح الاجتماعي والفلسفة الاجتماعية

3- تفعيل دور وسائل الاتصال الحديثة التي يمكن ان تحشد الراي العام حول اهمية الاصلاح الاجتماعي المتزامن مع التجديد الديني

4- تفعيل الدور التثقيفي لمنظمات المجتمع المدني المستقلة في عملية التوعية الاجتماعية

الخاتمة

اتسأل عن المدة التي استغرقها الانتقال من التنوير الى النهضة في اوربا ربما كان قرنين من الزمان او اكثر ولكنني استطيع التوكيد ان هذا الانتقال كان تدريجيا يحدوه الامل بانفراج قريب والوصول الى نهاية النفق حيث ذلك الضوء المنظور من بعيد الذي كان متزامنا مع فورة الاكتشافات العلمية التي خلقت وعيا عقلانيا جعل من التغيير والاصلاح والعلمانية والعقلانية ممكنات يعيشها المجتمع الغربي. هذه المكتشفات التي لم تقتصر على العلوم الطبيعية التطبيقية بل رافقها على قدم وساق اكتشافات العلوم الانسانية وتطورها. فالإصلاح للإنسان ومن اجله.

اثبت الواقع المعاش في المجتمعات العربية ان الشباب اكثر قابلية للتغير واكثر طاقة على التغيير واجدر بادخال التغيير الى واقع الحياة الاجتماعية هذا ما اثبتته ثورات الربيع العربي. فاذا الشباب يوما اراد الحياة فلا بد ان يستجيب من يقفون حائلا دونها الحياة الحرة الكريمة التي تشمل كل افراد المجتمع الواد الحياة الامنة التي يسودها الايمان بما تعي وتعقل غير مكره او مجبور غير مسير نحو اهداف يسعى اليها طفيليون لا يرون من الحياة ومكاسبها الا بمقدار ما يستغلون الاخرين في كل مفاصل حياتهم بميكافلية مقيته يمقتها الله والدين والتاريخ يمقتها العقل الانساني.

ان الاصلاح الاجتماعي الجذري هو الذي يحقق انسانية الانسان عندما يجعله يؤمن بانه الخليفة الاجدر بالخلافة عندما يؤمن بان خالقه اراد من الطاعة التي تؤهله ان يكون مثلا للالهة (عبدي اطعني تكن مثلي تقول للشيء كن فيكون)

الهوامش

1- نخبة من الاستاذة المصريين معجم العلوم الاجتماعية الهيئة المصرية العامة للكتاب 1975 ص 45،46

2-Ox ford dictionary fourth edition oxford press 1950 p 1048

3- رسول محمد رسول نقد العقل الاصلاحي النايا للدراسات و النشر والتوزيع دمشق 2008 ص 27 وما بعدها

4- عدنان عويد قضايا التنوير دار التكوين للتاليف والترجمة والنشر دمشق 2011 ص 133- 144

5-معجم العلوم الاجتماعية مصدر سابق ص45

6-عبد الوهاب المسيري وعزيز العظمة العلمانية تحت المجهر دار الفكر المعاصر بيروت 2000 ص11-119

7-غي هارشير العلمانية ترجمة رشا الصباغ دار المدى و المؤسسة العربية للتحديث الفكري

8-المصدر السابق

9- محمد عاطف غيث قاموس علم الاجتماع الهيئة المصرية العامة للكتاب ص 382،383

10- شاكر مصطفى سليم قاموس الانثربولوجيا مطابع جامعة الكوين 1981 ص 815-817

11- محمد احمد بيومي علم الاجتماع الديني دار المعرفة الجامعية ط2 1985 ص 179 و ما بعدها

12- المصدر السابق

13- خليل احمد خليل مفاتيح العلوم الانساينة دار الطليعة بيروت 1989 ص 162-163

14- رجاء بن سلامة عن العلمانية باعتبارها مبدا توحيد ومساواة بين المختلفين مجلة سيكويلار منظمة العلمانية و الحقوق المدنية العراق 2012 ص 7 -9

15- صلاح كاظم جابر الوعي الاجتماعي بين علمانية الديموقراطية وميثيولوجيا التعصب مجلة القادسية في الاداب والعلوم التربوية جمعة القادسية 2007 المجلد 6 العددان 1،2 ص 153-171

16- نقلا عن المصدر السابق

17- غي هار شير مصدر سابق ص 35-38

18- واثق غازي الدين واحتكار الحقيقة مؤسسة الانتشار العربي بيروت 2009 ص 89-91

19- صادق جلال العظم الدولة العلمانية و المسالة الدينية مجلة سيكويلار منظمة العلمانيةو الحقوق المدنية العراق 2012 ص10-18

20- هشام جعيط الشخصية العربية الاسلامية دار الطليعة بيروت ط3 2008 ص 126-136

21- محمد اركون الفكر الاسلامي ترجمة هاشم صالح دار الساقي ط3 1998 ص 57 وما بعدها

- الاية 2 سورة الحج

** الاية 97 ال عمران

*** الاية 267 البقرة

22- رسول محمد رسول مصدر سابق ص 26-29

- الاية 11 الرعد

23- حيدر حب الله ازمة الخزاء العلمي و المعرفي 2009 نقلا عن عماد الهلالي الفكر العلماني في ايران الاسلامية دار الانتشار العربي بيروت 2012 ص 18-21

24- برهان غليون نظام الطائفية المركز الثقافي العربي بيروت 1990 ص 13 – 28

25- صلاح كاظم جابر مصدر سابق

26- صلاح كاظم جابر دينية القيم الطائفية ودورها في اسطرة العقلية العراقية مجلة القادسية للعلوم الانسانية عدد خاص باعمال مؤتمر العقلية العراقية بين اكراهات الماضي وتحديات المستقبل 2013 ص 47-67

27- متعب مناف جاسم العقل العراقي:اسلام فوبيا /زينوفوبيا سسيولوجيا تمكين العقل العراقي مجلة القادسية للعلوم الانسانية عدد خاص باعمال مؤتمر العقلية العراقية بين اكراهات الماضي وتحديات المستقبل 2013 ص 23-30

28- قاسم حسين صالح اللاوعي الجمعي في العقلية العراقية مجلة القادسية للعلوم الانسانية عدد خاص باعمال مؤتمر العقلية العراقية بين اكراهات الماضي وتحديات المستقبل 2013 ص11-22

29- طه جابر العلواني العراق الحديث بين الثوابت و المتغيرات دار صناعة الفكر بيروت 2011 ص 177-184

30- عبد الاله بلقزيز دور الدولة في مواجهة النزاعات الاهلية ص 68-71 نقلا عن محمد جابر الانصاري واخرون النزاعات الاهلية العربية مركز دراسات الوحدة العربية ط2 بيروت 2001

31- عبد الرزاق الجبران انقلاب المعبد الحل الوجودي للدين دار نون دولة الامارات العربية المتحدة 2012 ص12

32- حيدر حب الله مسالة المنهج في الفكر الديني دار الانتشار العربي بيروت 2006 ص 49-77 ينظر ايضا محمد تقي الحكيم قصة التقريب بين المذاهب مكتبة النجاح طهران 1982 ص 5-18

33- عادل رؤوف العمل الاسلامي في العرق بين المرجعية والحزبية المركز العراقي للاعلام والدراسات ط3 2005 ص62-70

34- عز الدين البغدادي صعود المرجع الاعلى مجلة مدارك العددان 15،16 مؤسسة مدارك للابحاث والدراسات 2013 ص 59-84

35- المصدر نفسه

36- عادل رؤوف مصدر سابق

37- يحيى محمد القطيعة بين المثقف والفقيه مؤسسة الانتشار العربي بيروت 2001 ص 140

38- هشام جعيط مصدر سابق

39- المصدر السابق ص 53-60

40- المصدر نفسه ص 78-81

41- عبد الوهاب المسيري العلمانية تحت المجهر مصدر سابق ص 127-135

42- هشام جعيط مصدر سابق

43- المصدر نفسه

44-عز الدين البغدادي مصدر سابق

المصادر

- القران الكريم

** المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم

Ox ford dictionary fourth edition oxford press 1950 -1

2-برهان غليون نظام الطائفية المركز الثقافي العربي بيروت 1990

3-حيدر حب الله ازمة الخزاء العلمي و المعرفي 2009 نقلا عن عماد الهلالي الفكر العلماني في ايران الاسلامية دار الانتشار العربي بيروت 2012

4-حيدر حب الله مسالة المنهج في الفكر الديني دار الانتشار العربي بيروت 2006

5-خليل احمد خليل مفاتيح العلوم الانساينة دار الطليعة بيروت 1989
6-رجاء بن سلامة عن العلمانية باعتبارها مبدا توحيد ومساواة بين المختلفين مجلة سيكويلار منظمة العلمانية و الحقوق المدنية العراق 2012
7- رسول محمد رسول نقد العقل الاصلاحي النايا للدراسات و النشر والتوزيع دمشق 2008
8-شاكر مصطفى سليم قاموس الانثربولوجيا مطابع جامعة الكوين 1981
9-صادق جلال العظم الدولة العلمانية و المسالة الدينية مجلة سيكويلار منظمة العلمانية والحقوق المدنية العراق 2012
10- صلاح كاظم جابر الوعي الاجتماعي بين علمانية الديموقراطية وميثيولوجيا التعصب مجلة القادسية في الاداب والعلوم التربوية جمعة القادسية 2007 المجلد 6 العددان 1،2
11- صلاح كاظم جابر دينية القيم الطائفية ودورها في اسطرة العقلية العراقية مجلة القادسية للعلوم الانسانية عدد خاص باعمال مؤتمر العقلية العراقية بين اكراهات الماضي وتحديات المستقبل 2013
12- طه جابر العلواني العراق الحديث بين الثوابت و المتغيرات دار صناعة الفكر بيروت 2011
13- عادل رؤوف العمل الاسلامي في العرق بين المرجعية والحزبية المركز العراقي للاعلام والدراسات ط3 2005
14- عبد الاله بلقزيز دور الدولة في مواجهة النزاعات الاهلية
15- عبد الرزاق الجبران انقلاب المعبد الحل الوجودي للدين دار نون للنشر دولة الامارات العربية المتحدة 2012
16- عبد الوهاب المسيري وعزيز العظمة العلمانية تحت المجهر دار الفكر المعاصر بيروت 2000
17- عدنان عويد قضايا التنوير دار التكوين للتاليف والترجمة والنشر دمشق 2011
18- عز الدين البغدادي صعود المرجع الاعلى مجلة مدارك العددان 15،16 مؤسسة مدارك للابحاث والدراسات 2013
19- غي هارشير العلمانية ترجمة رشا الصباغ دار المدى والمؤسسة العربية للتحديث الفكري 2006
20- قاسم حسين صالح اللاوعي الجمعي في العقلية العراقية مجلة القادسية للعلوم الانسانية عدد خاص باعمال مؤتمر العقلية العراقية بين اكراهات الماضي وتحديات المستقبل 2013
21- متعب مناف جاسم العقل العراقي:اسلام فوبيا /زينوفوبيا سسيولوجيا تمكين العقل العراقي مجلة القادسية للعلوم الانسانية عدد خاص باعمال مؤتمر العقلية العراقية بين اكراهات الماضي وتحديات المستقبل 2013
22- محمد احمد بيومي علم الاجتماع الديني دار المعرفة الجامعية ط2 1985
23- محمد اركون الفكر الاسلامي ترجمة هاشم صالح دار الساقي ط3 1998
24- محمد تقي الحكيم قصة التقريب بين المذاهب مكتبة النجاح طهران 1982
25- محمد جابر الانصاري واخرون النزاعات الاهلية العربية مركز دراسات الوحدة العربية ط2 بيروت 2001
26- محمد عاطف غيث قاموس علم الاجتماع الهيئة المصرية العامة للكتاب 1979
27- نخبة من الاستاذة المصريين معجم العلوم الاجتماعية الهيئة المصرية العامة للكتاب 1975
28- هشام جعيط الشخصية العربية الاسلامية دار الطليعة بيروت ط3 2008
29- واثق غازي الدين واحتكار الحقيقة مؤسسة الانتشار العربي بيروت 2009
30- يحيى محمد القطيعة بين المثقف والفقيه مؤسسة الانتشار العربي بيروت 2001